فالمقاومة ، رفض الواقع . لا تتأرجح امام افق مسدود ، انها ممتدة الى المستقبل امتدادا لا نهائيا :

« والى ان يبعث النهر
وتشدو في اغاني الحمائم
املأ الدنيا هتافا لا يساوم
كفر قاسم .. كفر قاسم .. كفر قاسم
دمك المهدور ما زال ..
وما زلنا نقاوم »(١٧).

هذا الافق يأخذ امتداده من نهر البطولات الصغيرة ، التي يقوم بها الناس ، كل لحظة وكل ساعة ، والقاسم يروي لنا حكاية ليلى العدنية ، كيف ماتت وهي تقاوم الانكليز ، وحكايا اطفال رفح الذين عبر مقاومتهم الصغيرة والبطولية يبعثون الشمس المقتولة على « سنجة فاتح » . الشعر الفلسطيني ، يبقى متمحورا حول الناس . حول ارادتهم . وتوفيق زياد يعرف جيدا مواطن الجراح ، ويعرف كيف يرش الملح صارخا :

« هنا على صدوركم باقون كالجدار
ننظف الصحون في الحانات
ونملأ الكؤوس للسادات
... نجوع ، نعرى نتحدى
ننشد الاشعار »(١٨).

هذا الاصرار على البقاء يجد في المقابل امتداده الانساني ، انه ليس بقاء يائسا ، يتحدى وفي عينيه يلمع الامل خاطفا . انه وهو يتحدى الاحتلال الصهيوني يمد يده الى اليهود التقدميين ، داعيا اياهم الى بناء عهد جديد من الالفة والمحبة . انها مقاومة مدفوعة الى الجدار دفعا وفي عينيها يختلط الحب والحقد ، الموت والحياة . واذا كان زياد في بحثه عن المستقبل يسقط في النثرية في كثير من الاحيان — خاصة في مجموعته **شيوعيون** . فان الشعر ، يلمع بين سطوره من حين الى اخر بهيا ونقيا . فهو يشرب الكأس المر الى الثمالة ، ويذهب الى التراث الشعبي ، باحثا فيه عن مادة للبقاء . مستلهما اياه املا جديدا في الصمود ودروسا في المقاومة .

يأخذ الكثيرون ، على هذا الشعر ، كونه يجري ضمن الواقع السائد ، واقع وجود دولة اسرائيل . انه لا يتحدى هذا الوجود ويدعو الى ازالته . والواقع اننا نميز في دراستنا بين مستويين : **المستوى السياسي** المباشر حيث لا نجد هنا مجالا لمناقشة خط الحزب الشيوعي الاسرائيلي لان هذا يخرج عن دائرة بحثنا . **والمستوى الفني** حيث هذا الشعر ممتلىء حتى النخاع بالعروبة . حتى انه في كثير من الاحيان يتبنى — ولو عن غير وعي — الايديولوجيات السائدة في الوطن العربي كي يؤكد على انتمائه القومي . والذي يجب ان يبقى ماثلا امامنا هو أن هذا الشعر يعبر بصدق عن عرب الارض المحتلة بعد ١٩٤٨ . عن اقلية قومية مسحوقة . عن واقع مذعور ومذهول . من هنا فان مجرد عدم وقوعه ضحية للصهيونية هو بحد ذاته مستوى قتالي رفيع . فكيف اذا كان هذا الشعر يتمحور حول المقاومة ولو السلبية .

الشعر في الارض المحتلة ، حين يحمل السيف مقاوما ، فانه يحاول الخروج من الذات الى الآخر ، متغلغلا فيه حتى اقصى الحدود ، عبر طرحه لقضايا تتجاوز التراث ، تخرج من الماضي باتجاه الواقع المتحرك والمستقبل . كفرقاسم تصير جزءا من دماء الانسان التي تجري في عروقه وهي تدعو الاحرار الى المقاومة بأنصاب موتاها المرتفعة . والشعر في بحثه عن المقاومة يتأرجح بين حدين لسكين واحدة . فالعزلة والانفتاح ،